



من أعمال تيريزيا عنتبلي

«بيروت بعد الساعة السابعة» هو عنوان المعرض التشكيلي للفنانة اللبنانية تيريزيا عنتبلي، تفيض به جدران غاليري «زمان» المميز بطابعه الريفى المعاصر حيث تزدان به إحدى الزوايا النائية في شارع الحمرا.

رغبت الفنانة من خلال معرضها نقل صورة حية عن حياة بيروت الكبرى، بشوارعها وأسواقها المترامية هنا وهناك بعد الساعة السابعة، حيث من المفترض أن ترنو الأشياء إلى الاستكانة والراحة بينما الحقيقة إن رغبة الحياة ورفض الموت الذي غزا أياماً طوالاً في سنوات خلت تزيد من نبض الحياة في القلوب التي تحيط بها الأجساد البشرية والحجرية.

وعمدت عنتبلي إلى تنكيه لوحاتها البيروتية الجامعة ببعض أسواق الجنوب والشمال لتعطي انطباعاً أشمل للمضمون بأنها حياة لبنان بعد الساعة، قد نتساءل السابعة فجراً أم مساءً؟ إنه التقارب والتنافر والمحاكاة في آن، فضاء السماء وانعكاسه على الأشياء يتشابه في الوقتين لبرهة، إلا أنه يتابع في اتجاهين مختلفين، وحركة الناس تتقارب شكلاً وتختلف مضموناً، فناس السابعة فجراً ينطلقون في سعيهم اليومي لكسب قوت حياتهم، وهم في السابعة مساءً يذهبون ليغسلوا تعب يومهم وليزدادوا بنعمة العيش والحياة.

ضم المعرض ستا وثلاثين لوحة، تجمع بمعالجات مختلفة تسعة مراكز مناطقية في بيروت الكبرى (شارع المعرض في وسط بيروت، شارع الجميزة، المزرعة، برج حمود، الحمراء، الخندق الغميق، شارع المعرض) ولوحتين، واحدة لسوق في صيدا والثانية لآخر في طرابلس، بالإضافة إلى لوحة مفصلية تدعى «السابعة والنصف» توحد النبض المتوزع في الأحياء القديمة التي لاتزال تحافظ على تراثيتها وبساطتها.

نلمس في أسلوب عنتبلي التصوير مع الانطباع والتعبير، ويستوقفنا أشخاص اللوحة المغيبي الملامح، المحددي الهيئة والتفاصيل، وتلفتنا الخطوط المتطايرة المتشعبة وسط هذا التحديد الخطي البارز، فنشعر بانصهار إنساني لبناني وليس مناطقياً، نقول تيريزيا، إن إبراز الملامح لن يصيب الهدف، فالتعبير عن مبتغاها يكمن في عمق دلالة المكان المكتمل بحركة الإنسان.

من هنا يبرز ذاك التنوع في أسواق الفنانة ومقاهيها وزواربها، فقد جالت بنا في الأحياء الأكثر شعبية، إلى حركة أسواقها المزدهمة بإحياء بشري عمن قد يقصد هذه الأسواق منسجماً مع أشكال المحال التجارية وخصوصية المقاهي والبقالات، منسجبة في لوحات أخرى نحو خبايا تلك الأحياء وزواياها، فنرى حركة محددة الحياة بحركة أشخاص محدودي العدد وسط البناء التراثي وبقالية صغيرة، في دلالة على تقليدية الأسرة اللبنانية ومثانة روابطها، وحميمية الحياة الاجتماعية في تلك المناطق.

لم تسبح الفنانة كثيراً في خيالها، فقد حافظت على الهيئة العامة للأماكن وبعض التفاصيل الأساسية، وزودتها ميزة إحساسها ومعالجتها الخطية واللونية، فهي في كل لوحة عمدت إلى مجالسة السوق أو الحي وطبعت في روحها الفنية خصوصيته، ومن ثم راحت تعبر بانطباع الذات والرؤيا، فجاءت النتيجة واقعية فاضت حياة ودفناً، وأشبعت عمقاً حيث يقف المشاهد مشدوداً إلى زيارة آنية في قراءات مستفيضة من وحي خلفية الخط واللون. وتقرب لوحات تيريزيا من أسلوب «الغرافيتي» الذي شاع انتشاره مؤخراً، إلا أنها على الرغم من انتمائها إلى الخط الحدائي في المعالجة التشكيلية لاتزال أسيرة الطابع التراثي والتقليدي المتأصل في الانتماء. وقد تميزت المعالجة اللونية للوحات بمحدودية الألوان المستخدمة فيها ووضوح هويتها ونقاؤها وطابعها المخملي، فنجد في اللوحة مثلاً اللون البنفسجي بتدرجاته المتفاوتة، مع اللون الأزرق متدرجاً بخجل الانطباع العام للعبة الضوء والتناقض الحاصل في انعكاسه على الأشياء وألوانها. ثم تتوالى الألوان الثنائية الباردة «للأكليريك» التي طغى استعماله في المعرض، وقد لطخت أحياناً بلمسات من روافد دخيلة منسية لصغر مساحتها من الألوان النارية التي أضفت على اللوحة دفناً ورونقاً، كما نجد تلاعباً هندسياً عماده لون الضوء الذي يغمر اللوحة، وهذا أسلوب يُتبع في المطاعم والملاهي الليلية، كلوحة غلب عليها اللون الأخضر الساطع بتدرجاته فمنح إحساساً ضوئياً خاصاً للوحة، وتدرجات أخرى نحو الزهري، وغزوا للرمادي، وإلى جانب هذا الفرز اللوني هناك لوحات رديفة أصغر حجماً من بقية لوحات المعرض، مشغولة بالفحم، وأخرى تعتمد المزج اللوني في باقة غنية من الألوان، تجسد واقع الأشياء خارج بصمة الفنانة وخصوصيتها التشكيلية.